الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى حيث هو أهل الفضل والحمد ولا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ونشهد أنه الله بيَّن لنا أهمية الماء في حياة الإنسان فقال:

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ .. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

ونشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله عَرَفَ هذه الأهمية فكان يقتصد في الماء كثيرا حتى قال أَنَسٌ رضي الله عنه:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ

أما بعد فبمناسبة اليوم العالمي للماء الذي خلَّده العالم قبل يومين يليق بنا ونحن نتتبع خطى نبينا محمد أن ننظر متأملين في هديه ﷺ في استعمال الماء وكيف أنه عليه السلام كان يوصي بالحفاظ عليه خصوصا وقد أوحى الله تبارك وتعالى إليه قولَه:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ

كان رسولُ الله ﷺ يتوضأ بالمُدِّ تارة وبثلثيه تارة وبأزيَد منه تارة وكان مِنْ أيسر النَّاس صبًّا للماء ويُحَذِّرُ أمَّته من الإسراف فيه فقد روى ابن ماجة والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّه ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ له:

مَا هَذَا السَّرَفُ يا سعد؟ فقَالَ سعدٌ أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ

ومن هذه النصوص نستخرج أيها الأحبة أمورا معينة وأحكاما بليغة أُولاها أن الإنسان لن يتمكن من اختزان كل الماء الذي ينزل عليه من السماء إلا أن هذا لا يمنعه من أن يسعى إلى بناء السدود وتشييد الخزَّانات للحفاظ على هذه الثروة الغالية التي حباه الله بها والتي لا يستطيع أن يضمن بقاءه إلا بها..

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

فكما قال أحد الحكماء الماء أهون موجود وأغلى مفقود وفعلا فنحن لا نلتفت إليه عند وجوده ولا نحس بأهميته إلا عند فقدانه وهذه الحالة الأخيرة هي التي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار ونخطط للتصدي لها خصوصا وأن دراسات حديثة تثبت أن ندرة الماء في هذا الزمان أصبحت تهدد الوجود برمته والعياذ بالله.

أما الأمر الثاني الذي نستنتجه من هذه النصوص فهو نهيُه ﷺ عن السرف في الماء مطلقا إذ أكد ذلك بقوله "وإن كنت على نهرٍ جارٍ" وهذا ما يدفعنا للقول بأن الحفاظ على الماء لا ينبغي أن يقتصر على الشَّروب منه بل عليه أن يتعداه إلى كل ينابيعه بالحرص على عدم تلويثها برمي النفايات في الأنهار والبحار مثلا سواء بيتية كانت أو صناعية. نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم وبحديث نبينا محمد الأمين والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. إذا كانت أيها الناس هذه هي منزلة الماء في ديننا وإذا كان هذا هو هدي سيدنا محمد في استعماله وإذا كان هذا الرسول هو موضوع الإسوة بالنسبة لنا فينبغي أن نقتدي به فنحافظ على الماء من الضياع حتى لا ندخل في طي قوله عليه السلام فيما يرويه أبو داود:

إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ

أي يَتَعَدَّوْنَ الحدود في استعمال الماء أثناء الوضوء والاغتسال وفي وضع الشروط في الدعاء كمن يطلب من الله أن يجعله في منازل الأنبياء.

فما بال أقوام لا ينتبهون إلى أهمية القصد في الماء ولا يَعُونَ حقيقة خطرِ تضييعه فتراهم يسقون بساتينهم مجتهدين ويُعيدون ملء مسابحهم مطمئنين ويغسلون سياراتهم غيرَ آبهين.. كلُّ ذلك بواسطة خراطيم الماء الشروب وكأن العطشى قد اندثروا من الوجود. ألم يعلم هؤلاء أنهم بفعلهم هذا يحرمون أناسا من قطرة الحياة وبهجة الري؟

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واكفنا شر من يريد ضرنا يا ربنا. اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِنا وَبَيْنَ خَطَايَانا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ

المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ واغْسِلْنِا مِنْ ذنوبنَا بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ. اللَّهُمَّ نَقِّنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ. اللهم أصلح لنا ديننَا الذي هو عصمةُ أمرِنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا وأصلح لنا آخرتَنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير واجعل الموتَ راحةً لنا من كلِ شر. اللهم إنا نسألك إيمانا دائماً ويقينا صادقا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا ودينا قيما وتوبة نصوحا ونجاة من النار. نسألك يا رب الجنةَ ونعيمها ونعوذ بك من النار وحرَّها ربنا آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم اشف مرضى المسلمين وارحم موتى المسلمين وأطلق سراح أسراهم يا رب العالمين وخذ بأيدينا جميعا إلى حيث رضوانك. اللهم احفظ أمير المؤمنين محمدٍ السادسِ بما حفظت به الذكر الحكيم. اللهم كن له وليا ونصيرا ومعينا وظهيرا وأبعد عنه كل بطانة سوء وقرب منه كل بطانة خير آمين وصل اللهم على سيدنا محمد الصادق الأمين والحمد لله رب العالمين.